وزارةُ الثَّقافة
الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطّفل

مكتبة الطفولة

١١٢
تموز ٢٠٢٤م

قريبتي سامرة

قصة: أميمة إبراهيم
رسوم: رامز حاج حسين

رئيسُ مجلس الإدارة
وزيرةُ الثقافة
الدكتورة لبانة مشوّح
الإشراف العامّ
المـدير العــامُّ للهيئـة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين
رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار
الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي
الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

مكتبة الطفولة
سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال

قريتي ساحرة

قصة: أميمة إبراهيم
رسوم: رامز حاج حسين

أحلــمُ بالسَّـفر وبالـرّحـلات، وأرجـو أن أركـبَ قطاراً، أو أُحلّـقَ في طائرة، أو أُبحرَ في مركب كبير.

أثيرُ ضجّةً في البيت تجعلُ مَــنْ حولي يضحكونَ، ويقولونَ لي:

أنتَ ثرثارٌ حقيقـيّ لا تملُّ الكلامَ ولا الأحلام.

ما ذنبي إنْ كنتُ أحبُّ السّفر؟ ما ذنبي إنْ كانَ البيتُ يضغطُ على أنفاسي؟ أريدُ فضاءات تـتّسعُ لأحلامي. أريدُ أن أجريَ مثلَ غزال في صحراء، أو مثلَ نمر في غابة. أريدُ أن أطيرَ، وأُحلّـقَ مثلَ نسر في الفضاء.

هكـذا، كنتُ أُردّدُ دائماً، ولا أمـلُّ الكلام، وأحلـمُ بأنّ سـاحرةً سـوفَ تأتي ضاربةً بعصاها، وتسـألُـني تحقيـقَ أحلامـي، فأطلبُ منهـا أن تأخُـذَنـي... إلى أيـن؟ لا أعـرف! المهـمُّ أن أسـافر. فـي الخيال، في الأوهام، في الحقيقة، المهمُّ أن أسافر.

حتّى جاءَ يومٌ، أتتْ فيه السّاحرةُ إلى بيتنا. لم تكنْ تحملُ عصاً بيدها، بل سلّة كبيرة مُمتلئة بالفاكهة والخضراوات الطازجة التي قطفَتْها من مزرعتها.

جلستُ بينَ يديها أسمعُ كلَّ كلمة تنطُق بها. إنّها قريبةٌ لأهلي جاءَتْ في زيارة قصيرة، وهي تدعو الجميعَ إلى قضاء بضعة أيام في مزرعتها.

اعتذرَ أبي وأُمّي، لأنّهما مشغولان بعملهما، لكنّها أصرَّتْ على الدّعوة. ربّما قرأتْ في عينيَّ تلهُّفاً وترقُّباً. حقّاً إنّها ساحرة، لأنّها استطاعَتْ إقناعَ والديَّ باصطحابي معها.

لم نُسافرْ بالطائرة، ولا بالقطار، بل بسيّارة أجرة صفراء كانت تُساوي طائرةً في نظري.

وصَلْتُ إلى مزرعة قريبتنا وقتَ الغروب. كان قُرصُ الشمس قد غطسَ في المجهول، وانتشرَتْ ألوانٌ زاهية تتماوجُ بينَ البنفسجيّ الدّاكن والفاتح

والـحُمرَة القانية، ثـمّ تبدو حُـمْـرَةٌ ورديّةٌ بتدرُّجاتها الـمُتعـدّدة، ثـمَّ برتقالـيٌّ وأصفـرُ يميلُ إلى حُـمْـرَة خفيفـة فـي امتـزاج رائع بلـون السّـماء، أمّـا حزامُ الـخُضـرة والـجَمال الذي يُزنّـرُ المزرعةَ، فقد صارَ ليلكـيّاً، وها هو ذا طيفُ هلال يبزغُ بخجل، ويرجو أن نَـدْعُـوَهُ إلـى السَّـهر، ونجومٌ من ضيـاء تُـلـوِّنُ الليـلَ البهـيّ، وتزيدُهُ روعةً، حتّـى عُواء بنات آوى سَمِعْـتُـهُ مثلَ نشيد رائع.

تسـلّـلتْ أصواتٌ مُـتناغمةٌ إلى أذُنـيّ، هي خليطٌ من ضحكِ السّاهرين ونقيق الضّفادع.

كانَ الفـرحُ يغمـرُ قلبـي، فيزيـدُ تدفُّـقَ الـدم فـي جسـمي، وكانت السّـعادةُ تحملُـني على أجنحتها، لذلك نمتُ سعيداً على سرير الأحلام.

صباحـاً، كانت أصواتُ الدُّيـوك والعصافير تصلُ إلـى مَسْـمَـعـيَّ، فأشـعرُ بالنّشـاط، وأسـارعُ إلـى

الـنُّـهوض من فراشي والتّـجوال حولَ البيت، حيثُ انتشـرَتْ أشـجارُ التّـين والـزّيتون واللـوز والعنب والـرُّمّـان والـتُّـوت. خليـطٌ بـلا تجانُـس، لكـنّـهُ يُشكّـلُ لوحةً بديعة.

هـذه قطّــةٌ تمـوءُ، وتُطالـبُ بحصّتهـا مـن طعام الإفطار. أجري إليها، حاملاً قطعةً من الـجُبن وبقايا أطعمـة أعرفُ أنّـهـا سـتُـحبُّـها، أمّا طعـامُ الإفطار الذي قـدّمَـتْـهُ إلـيَّ قريبتي، فكانَ لهُ طعـمٌ مُـختلف ومـذاقٌ طيّب. رُبّـمـا كان مذاقُـهُ مـذاقَ الرّاحة بعدَ تعبِ عام دراسيّ لم أتوانَ فيه عن بذْل كلِّ جهد.

أخذَتْـنـي قريبتـي فـي رحلـة جميلـة إلـى حرش السّـنديان. مـن هنـاك لاحَـت فـي الأسـفل، حيثُ الوادي، بسـاتينُ المشـمش والخوخ وسواقي الماء التي امتلأتْ بالحصى والنباتات المائيّة، وشمـخَـتْ على ضفافها أشجارُ الدّلب العملاقة، ثــمّ أخذتْـني

إلـى مغارة جميلـة كان الطريقُ إليها يتلـوّى صُعوداً وهُــبوطاً، وأشجارٌ شـائكةٌ مُـلْـتَــفَّـة تُـخبّـئ هذه المغارةَ عن العيون.

تساءلتُ ببراءة: هل تختبئُ الضّباعُ والوحوش في هذه المغارة؟!

أجابـت قريبتي: لا، بل كانت هـذه المغارةُ مأوىً لرجالنـا الأبطال الأشـدّاء زمنَ الحـروب ومُـقاوَمة الـمُحتلّـيـن، يَـتَوارَونَ فيها عن عيون الأعداء ريثما يَسْـتـجمعُونَ قُـواهم، ثــمَّ يُعاوِدُونَ الـهجوم.

سألتُـها: وأين هــمُ الآنَ يا خالة؟!

أجابت: هذا كان منذ زمن بعيد، قبلَ أن تأتـيَ أنتَ إلى هذا العالم.

عدتُ إلى البيت مُـمتلـئَ الرّأسِ بقصصِ الـرِّجال وبُطولاتهـم، وتذكّــرْتُ أنّـنـي قـرأتُ فـي كتـاب

التاريخ كثيراً مـمّـا قالـتْـهُ لي قريبتي السّـاحرة، فشعرتُ بالفخر لأنّ قدمَـيَّ الصّغيرتَين لامَـسَـتا أرضَ المغارة.

مساءً، تروي لي سـاحرتي بعدَ أن رجوتُـها أن تحكـيَ لي قصّةً ما:

يـومَ كنتُ صبيّةً في مطلع عُمري كان يحلو لي أن أذهـبَ إلى نبع الماء وقـتَ المغيب، وكانت جدّتـي تُـحذّرُني من أنّ العفاريـتَ قد تكونُ في انتظاري إنْ تأخّـرتُ في العودة.

تضحكُ، وتُـتابعُ: يومَـها لعبتُ مع صديقاتي، حتّى بـدأ الليـلُ حياكـةَ عباءَته السّـوداء، لذلكَ أسـرعتُ، وعـبّـأتُ جـرّةَ المـاء، ثـمَّ حملتُـها على كتفي، وأسرعتُ عائدةً إلى البيت مخافةَ أنْ تظهـرَ العفاريتُ في طريقي، كمـا قالت جدّتي. ويا لَـهَـوْلِ ما أحسسْـتُ به! كانَ أحدُهم يَـرُشُّ

المـاءَ علـيَّ، فجريتُ خائفـةً لا ألوي على شـيء. أخافُ أن أتوقّف. أخافُ أن أنظرَ إلى الوراء.

لا بُـدَّ أنّ عفريتةَ النهر هي مَـنْ تَـرُشُّـني بقطرات الماء الباردة.

لـمّـا وصلتُ إلـى البيت بأنفـاس لاهثة مُضطربة ووجه شـاحب أنزلـتُ جرَّةَ المـاء عن كتفـي. كانَ الماءُ في جرّتي قد وصلَ إلى نصفها فحسـب، لأنّها كانت مثقوبة!

ضحكنـا معاً لطرافة القصّة، وغفوتُ، وأنا أسـمعُ خريرَ الماء وسقسقةَ الجداول.

أخيـراً، انتـهَـتْ عُطلتـي، فحزمْـتُ حقائبـي، وأوصلَـتْـني قريبتُـنا إلى مدينتي، حيثُ بيتي وأهلي ومدرسـتي وأصدقائي وكتبي ودفاتري، وفي القلب فرحٌ، وفي العينِ إشراقٌ وأمل.

كتبـي تدعوني إلـى رحلة من نوع آخـر. غداً في المدرسـة، سأسـافرُ إلـى مصـرَ والعـراق واليمن وعُـمَـان وتونس والجزائر... سأعيشُ مع بطولات صلاح الدّين الأيوبي، بطل حطين ومُـحرِّر القُدس، وسـيف الدّولـة الحمدانـيّ قاهـر الـروم وصديق الـمُتنبّـي سـيّـد الشِّـعر، وسـأُغنّي لأطفـال فلسـطين، واثقاً بالنّصـر وراجياً لهـمُ الـحُـرّيّـة، وقـد أصلُ في رحلتي إلى القمر، وسـأعرفُ أكثـرَ عـن النُّـجـوم والـمجـرّة والكواكـب، وسـتبقى ذاكرتـي مُـمتلئـةً بالقصص والحكايـات الجميلة التي سأرويها لأهلي وأصدقائي في أوقات الفراغ.

شُـكراً يا سـاحرتي الـرّائعة! شـكراً يـا قريبتَـنا الـوَدُودَة! سـأدرسُ كثيراً، كما وعـدْتُـك، وأنتِ، لا تنسـي أنّـك وعَدْتِـني برحلة جديدة في الصّيف القادم ستكونُ هديّـةً لي لنـجاحي وتفـوُّقي.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

حزيران ٢٠٢٤

www.syrbook.gov.sy
E-mail:syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامّة السوريّة للكتاب - ٢٠٢٤م
سعر النسخة: ٢٠٠٠ ل.س أو ما يعادلها